النقد الغربي واثره في النقد العربي المعاصر

غالي شكري أنموذجاً

Western critism and it's impact contemperary on Arabic critisim,

Ghali Shokri as a model

م.م. عماد بشير حمدي
كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية/ جامعة الموصل
Assistant teacher: emad basheer al-gero
College of education for human sciences Mosul university

ملخص البحث

شغل التأثير الغربي بأفكاره وفلسفاته حيزاً كبيراً ومهماً من الساحة النقدية العربية الحديثة، حتى أضحى نقدنا الحديث صورة مقاربة من النقد الغربي، فقد أسَّس نقادنا العرب المعاصرون تجاربهم ومناهجهم في ضوء دراستهم لثقافات غربية.

وقد اجتهد هذا البحث في محاولة إظهار أشكال هذا التأثر العربي بالنقد الأوروبي وفلسفاته، والوقوف على أهم الأسباب التي كانت وراء هذا التأثر، وقد وقع اختيارنا على الناقد (غالي شكري) انموذجاً تطبيقياً لدراسة الفكر التأثري عند نقادنا العرب، الذين تبنوا مرجعيات غربية لثقافاتهم. وقد قامت دراستنا على محورين تناولنا في الأول مجمل الأثر الغربي في النقد العربي الحديث والطرائق المؤدية لهذه المثاقفة، وفي المحور الثاني تناولنا تجليات النقد الغربي في أعمال غالي شكري النقدية.

Abstract

The western influence with its ideas and philosophies occupied a great and important zone in the modern Arabic critical field until our modern criticism became a copy of the western one. Our Arab contemporary critics based their experiences and methodologies in light of western cultures .

This research attempted to illustrate the forms of this Arabic affectation by the European criticism and philosophies and recognizing the important reasons behind this affectation. So, we selected Ghali Shukri, the critic, as an applicative model to study the affecting thought of the Arab critics who adopted western references to their cultures. Our study was established on two topics ; the first dealt with the total western influence on the modern Arab criticism and the methods resulted in this inter-cultural process . In the second topic, we dealt with the presences of the western criticism in the critical writings of Ghali Shukri.

أولاً: الأثر الغربي في النقد العربي الحديث

يجري على النقد العربي الحديث الحكم نفسه الذي يجري على جوانب الحياة والحضارة العربية عامة، هو تأثره على مايزيد من قرن بالنقد الغربي ومحاولته الاندماج في الثقافة الغربية على الرغم من الاختلافات الثقافية والخصوصيات الحضارية وإن كان بأشكال مختلفة ونسب متفاوتة[١]. ومن الطبيعي أن يرافق إفادة العرب من التقدم العلمي والتكنولوجي الغربي إفادتهم نقدياً وإبداعياً، فقد ظهرت التأثيرات الفلسفية الغربية واضحة على فكرنا العربي عبر تبني أعلامنا العرب نظريات فلسفية غربية ونشرها في أوساطهم الثقافية والعلمية والجامعية وفي مؤلفاتهم[٢].

لقد فرض الواقع الجديد على الأدب والنقد العربي الحديث ضرورة التأثير والتواصل مع النقد الغربي، فضلاً عما فرضته مستجدات الحياة الجديدة على آراء وأفكار الادباء والشعراء، في البحث عن أشكال تم استحداثها ضمن دائرة الحداثة الغربية، فالناقد العربي وفي خضم ذلك التفاعل واجهته أجناس أدبية غريبة على ثقافتنا العربية القديمة كالمسرحية والقصة والرواية التي لا يمكن أن تُقرأ إلاّ بالاعتماد على مفاهيم خاصة بها، أجبرته على الكتابة في ضوء القواعد والأصول الفنية الغربية والتسلح ببعض أدواته المعرفية، وكانت نتيجة التأثر بالنقد الغربي هي محاولة نقادنا العرب تجديد المناهج النقدية الأدبية عبر اتصالهم بالثقافة الغربية، وإدخال تلك القواعد والفنون الغربية إلى الأدب العربي ونقده[٣]. وهكذا تأثرت قواعد النقد العربي منذ بداية القرن العشرين بالتيارات البارزة في أوربا، فجاء كتاب طه حسين (في الأدب الجاهلي) متأثراً بفلسفة ديكارت، كما جاء للعقاد كتاب (ابن الرومي-حياته وشعره)، وكتاب آخر عن أبي نؤاس متأثراً بالمباحث التاريخية والبيولوجية والسيكولوجية، وشَكّل العقاد إلى جانب إبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري مدرسة الديوان التي تأثرت بالرومانسية الغربية في النقد وكان تأثر العقاد وجماعة الديوان بالمدرسة الرومانسية في الشعر والنقد إلى علاقتهم بـ(هازلت) وبقية جماعة النبوءة والمجاز[٤].

لقد كان المذهب الغربي ذا أثر بالغ في التأثير، وفي تطور النقد العربي، ويتضح ذلك في تكوين المدارس الأدبية ونشوء المذاهب النقدية، كما أنّ الفلسفة الغربية كانت أشدّ تأثيراً في حركة النقد العربي الحديث، فظهور الاتجاهات الجديدة الواضحة في النقد، فضلاً عن استدلال بعض النقاد المحدثين بآراء النقّاد والفلاسفة الغربيين سببان مباشران في تأثر الأدب ونقده، ومن اهم المدارس التي تركت أثراً في نهضة الأدب العربي ونقده هي المدرسة الرومانسية، وكان من أبرز مؤسسي هذا التيار في الوطن العربي، الناقد والأديب خليل مطران والمتأثر بالثقافة الفرنسية، ومجموعة من النقّاد والأدباء المثقفين بالثقافة الغربية مثل عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، فضلاً عن تيار ثانٍ هو الآخر تعلق بالنقد الغربي وثقافته، متأثراً به وبآرائه واتجاهاته النقدية، فانعكس عليه، ألا وهو تيار جماعة (أبولو)، بزعامة أحمد زكي أبو شادي[٥].

إنّ اتصالنا بالثقافات الغربية الحديثة عموماً، جاء في سياق الهيمنة الغربية بمختلف صيغها وأشكالها على مجالنا الحضاري، ومن هنا لا غرابة أن يتأسس الخطاب الثقافي العربي الحديث بمختلف أشكاله وموضوعاته على هاجس التعرف

على الحضارة الغربية الحديثة، ثم التعريف بها لدى المتلقي العربي من منطلق التبشير بها بوصفها حضارة المستقبل.

إنّ الاتصال بالثقافة الغربية اتخذ في حالتنا شكل المثاقفة في إطار علاقات الهيمنة الغربية التي تولدت عن التقدم التقني والمعرفي الغربي، وهو ما جعل الخطاب الثقافي العربي المعاصر محكوماً في جملته بالتواترات الأيديولوجية، فهو من جهة يحاول مقاومة هذه الهيمنة الغربية، وفي ذات الوقت لايجد مفراً من الاتصال مع الثقافة الغربية الحديثة لتطوير ذاته وتجاوز إشكالياته الخاصة، التي شهدت حالة التخلف المعرفي الذي ساد المنطقة العربية نتيجة لانقطاعها خلال قرون عن إنجازها العلمي والحضاري الماضي وعن الإنجازات العلمية التي ظلت تتراكم في أوروبا طوال قرون، أي منذ بدايات عصر النهضة إلى اليوم، وكان للبعثات... دور في نقل الكثير من المعارف الغربية الحديثة إلى المجتمع العربي، لكن الذي لاشك فيه أيضاً هو أنّ الهوة المعرفية لم تزل كبيرة بين الفضاءين، وذلك لتسارع عمليات إنتاج وتداول وتحول المعرفة في الغرب من جهة، ولمحدودية إنتشار وفاعلية المعرفة الحديثة في المجتمع العربي الذي لم تزل تهيمن الأمية على أغلبيته[٦].

لقد كانت أولى البعثات التعليمية المتخصصة في الدراسات الأدبية عام ١٩١٢م، من نصيب (أحمد ضيف)، الذي عاد ليفتح باب النقد المنهجي لأول مرة في أدبنا الحديث، وليؤلف كتباً تدعو إلى إعادة النظر في الدراسات الأدبية العربية، والإفادة من الفكر النقدي الأوربي ممثلاً بـ(المدرسة اللانسونية الفرنسية)(*)، وقد عاد أحمد ضيف بوصفه أول عربي يحمل الدكتوراه من السوربون، ليعلن ضرورة التخلص من الفكرة التي تسيطر على الدارسين العرب، وهي أن العرب قد وصلوا إلى أقصى مايمكن الوصول إليه في الفكر البلاغي النقدي، ومن الضروري الانفتاح على أساليب النقد الاوربي الحديث، ليغيّروا طريقة تفكيرهم وأدواتهم، وكان ضيف من أوائل المؤسسين لفكرة التقابل بين التراث العربي القديم والثقافة الاوربية الحديثة[٧].

أمّا على صعيد الترجمة، فقد كان لانفتاح الساحة الثقافية في المغرب العربي على الثقافة الفرنسية العمل دون كلل على ترجمة هذه الثقافة في مختلف الحقول، وذلك لارتباطها بفرنسا بحكم الاحتلال الفرنسي لأقطار المغرب العربي فهناك بعض الكتب المترجمة الموضوعة، التي تأثرت جملة وتفصيلاً بالنقد الغربي، وعملت على نقل هذه الثقافة النقدية إلى العقلية العربية ومثال ذلك: د.محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي، وموسوعة المصطلح النقدي لعبد الواحد لؤلؤة، وأدباء الرومانتيكية الفرنسية

لمحمد غلاب وغيرها كثير، أمّا المترجمات فمن أهمها النقد الأدبي لجيروم ستولينتز ترجمة فؤاد زكريا، وتشريح النقد لنورثروب فراي ترجمة د.محمد عصفور، ومن الظاهراتية إلى التفكيكية لوليم راي ترجمة يوئيل يوسف عزيز، والبنائية الشعرية لجون كوهن، وغيرها كثير(٨).

ثانياً/ أثر النقد الغربي في أعمال غالي النقدية:

يُبدي غالي شكري رأيه في التأثير الغربي من خلال تعريفه للتأثر بأنه (عملية ثراء ذهني وشعوري، تتسع بها دائرة الرؤية في بصيرة الفنان، وتعمق من إحساسه بالحياة، وتضيف إلى قدراته التعبيرية إمكانيات جديدة) (٩). وقد كان غالي من الداعين إلى المثاقفة مع النقد الغربي، وفيًّا لما تعلمه في الغرب، ومتابعاً جيداً لما يستجد هناك، (والدعوة للمثاقفة مابين النقد العربي الحديث والنقد الغربي المعاصر، هي دعوة وجدت صداها ومداها في تكوين أجيال متعاقبة من النقّاد العرب مابين مؤسسين ومرسخين، أمثال العقاد ونعيمة وطه حسين، وأمثال محمد مندور ومحمود أمين العالم ولويس عوض، كما وجدت صداها في كثير من آثار كتب النقد الأدبي الغربي المنقولة إلى لغتنا العربية) (١٠).

يقول غالي: (لقد كان التفاعل والاستقطاب كلاهما، الظاهرة الرئيسية في فكرنا الحديث، فنحن نعثر على الدعوة الاشتراكية عند سلامة موسى جنباً إلى جنب مع الدعوة النيتشوية في كتابات نفس المفكر) (١١).

لقد آمن غالي شكري بفكرة التأثير إيماناً راسخاً، وإن كان يستخدم مصطلح التفاعل أو الاستقطاب مجازاً، وهو في الحقيقة تعبير صريح عن التأثر بالآخر، وإذا كان هذا التفاعل أو الاستقطاب كلاهما يدخل في باب التأثر بالآخر فإنّ (النقد جزء من الثقافة العربية التي أنتجته والتي يصعب قصور مرحلتها الإحيائية بدون المؤثرات الغربية، وكان من الطبيعي أن يتلقى دارسو الأدب، مثلما تلقى الادباء والعلماء والمشتغلون في حقول النشاط الحضاري كافة، تأثيرات غربية كثيرة أدت إلى الانعطاف بالتناول النقدي، فكراً وتذوقاً وتحليلاً، في مسارات جديدة) (١٢).

ويوافق محمد عبد المنعم خفاجي ناقدنا غالي شكري في رأيه من مسألة تأثر النقد العربي والنقّاد العرب أيضاً بالفكر الغربي ومناهجه النقدية والأدبية على حد سواء، فهو يقول: (لقد أخذ النقد العربي أصوله من جميع المذاهب النقدية في القديم والحديث ومن الشرق والغرب على حد سواء... وما نشوء المذاهب النقدية، وظهور

القيم الواضحة في النقد، إلاّ أثر لهذا الاخذ ولذلك التأثر...والفلسفات الحديثة في الغرب ذات فعالية كبيرة في حركة النقد)[١٣]، ويضيف قائلاً بأنّ (أغلب شعرائنا ونقادنا وأدبائنا وكتابنا على أية حال قد تأثروا بمذاهب الغرب تأثراً كبيراً)[١٤].

لقد انطلق غالي من مفهوم- التأثير الغربي في نقدنا العربي – في مجال عمله الإجرائي والتطبيقي على أعماله النقدية، التي تكشف وبشكل واضح إعتماده هذا المبدأ، وعدّه حقيقة لازمة لامفر منها لكل أديب أو ناقد، فعلى صعيد النقد، يقول غالي: يستخدم العقاد في منهجه النقدي أساليب المدرسة الانجليزية التي قادها هازلت وورد زورث، ويتخصص طه حسين في استيراد التراث اليوناني العظيم الذي يجعل من الديمقراطية جوهر الحياة الحرة[١٥].

ويندرج هذا التأثير في مجال القصة أيضاً، إذ يقول: (وإذا كان نجيب محفوظ قد تأثر بشكسبير كما أكد ذلك مراراً، فإن هذه النقطة بالذات توضح مبلغ هذا التأثير، وهذا يفضي إلى حقيقة تراجيدية هامة تقول بأن الابطال أنفسهم هم علة مصائبهم)[١٦]، ويقول في موضع آخر: (وهذا المفهوم الشكسبيري للقدر، وتلك الموضوعية الصارمة التي تتحكم في مسار التراجيديا الشكسبيرية، يشكلان السمة الاساسية في ملحمة نجيب محفوظ، وهذه الشكسبيرية قد أسهمت في تكوين نجيب محفوظ الفني وبلورت إحساسه التراجيدي) [١٧].

ويمضي ناقدنا في بنائه النقدي على هذا الأساس التأثري للغرب في تناوله للقصة العلمية، فهو يذكر مسبقاً أنّ تلك التيارات الفكرية كانت قد تأثرت في جوهرها بفلسفات الغرب (فلا شك أنّ سلامة موسى في (خيمى) كان يطبق نظرية التطور على النحو الذي نراه عند برنادشو وولز، كما أنّ الحكيم كان متأثراً على نحو ما بأفكار الدوس هكسلي عمّا يمكن أن تؤول اليه الإنسانية وفقاً لنظريات العلم، وهي أفكار مثالية تتسم بالذعر من إحتمال إنهيار دور الفكر والفن في المستقبل) [١٨].

إنّ العلاقة بين النقّاد العرب المحدثين وبين النقد الغربي تأخذ شكل العلاقة الواعية أو غير الواعية، لكنها موجودة وفاعلة في الحالتين، فليس ثمة ممارسة نقدية عربية جادة تستطيع أن تدعي عن وقوعها خارج سياق التأثير الغربي أو التفاعل معه على نحو من الأنحاء... وإنّما الفرق بين ناقد وآخر، وبين تيار وتيار، هو في الموقف المتخذ وكيفية التفاعل[١٩].

ويعدّ الناقد غالي شكري أنّ التأثر بالأعمال الاجنبية لا يضر الفنان في شيء، بل هو يغني طاقته الإبداعية ويثريها بمزيد من الخبرات الحية في الفن والحياة، ولكن

بشرط أن يكون هذا التأثر بعيداً عن المحاكاة والتقليد[٢٠]. والآن وبعد اتصال أدبنا العربي الحديث بالآداب الغربية ومناهج النقد المعاصر في الغرب، جرى تطور كبير على نقدنا العربي الحديث، فخضع هذا النقد لما يخضع له النقد الغربي الحديث من مذاهب وتفسيرات علمية موضوعية مختلفة للنقد، فظهر التفسير النفسي للأدب، والتفسير الجمالي، والفلسفة المثالية، والفلسفة الواقعية، وغيرهما من المذاهب الفلسفية، التي وجهت النقد الغربي وجهة جديدة، وصار النقد تابعاً لها، وتبعه في ذلك نقدنا العربي الحديث، فسار في الطريق نفسه [٢١].

إنّ الثقافة النقدية العربية والأدبية هي بنت الثقافة الغربية على الرغم من محاولات تمرير مفاهيم النقد العربي القديم، ويمكن أن نجد العذر لحركة العقل العربي الحديث الذي يُتهم بأنه عقل تراكمي وليس عقلاً تركيبياً تحليلاً، لأنّه لم يعط الفرصة ليثبت هويته، ولم يثبت بصماته على صفحات حركة التاريخ، فالغرب تشكلت هوياته الثقافية بحكم حركة التاريخ منذ عصر النهضة في أوربا ومنذ القرنين التاسع عشر والعشرين[٢٢]. (وتختلف درجة الانفتاح بين النقّاد العرب على المناهج النقدية الغربية الحديثة وكيفية الاستفادة منها، فقد بات النقد الأدبي العربي الحديث أكثر من أي وقت مضى متلهفاً بل ومتلقفاً لكل مايظهر في الغرب من مذاهب ومناهج نقدية دون هضمها وتمثلها، ولابد من التأكيد على أنّ الاستفادة من المناهج والنظريات الغربية مشروعة وضرورة تحتمها اللحظة الحضارية التي نعيشها، ولكن لابد أنّ ننتبه إلى أنّ هذه المناهج والنظريات يتم إنتاجها ضمن زخم ثقافي وفكري وعلمي خاص بها، وفي إطار سياقات معرفية وفلسفية محددة وبغية تحقيق أهداف معينة بالنظر إلى المجتمعات التي أنتجتها واللغة التي كتبت بها النصوص التي طبقت عليها، فلا يكون إنفتاحنا عليها، إذا لامشروطاً ومرتهناً أبداً بمرجعيتها المختلفة) [٢٣].

إنّ أعمال غالي النقدية تكشف عن مرجعياته الغربية، وتأثره بالفلسفة، والفكر الأوروبي، عبر اطّلاعه الواسع على معظم الاعمال الأدبية والنقدية العالمية، ممّا سهل عليه مهمته النقدية، فهو من النقّاد الذين أسسّوا مناهجهم وطرائقهم الخاصة بهم في معالجة النصوص عبر مقارنة ومقابلة هذه النصوص بمثيلاتها من النصوص الأدبية والنقدية الأخرى، فالناقد يمتلك قدرة فائقة في التعرف على مواطن التأثر أو التقليد بين الاعمال الأدبية المحلية منها والعالمية، ساعده في ذلك رصيده الثقافي الضخم من القراءات الأدبية والنقدية.

ويمكننا تلمس هذه الكفاءة العالية في رصد المؤثرات الغربية حين يقول خلال قراءته لقصة حنا مينة (المصابيح الزرق): ((أحسست بتأثر المؤلف تأثراً بارز الملامح بأعمال الكاتب الروسي مكسيم جوركي)) [٢٤]. كما ويذكر تأثر نجيب محفوظ في مجموعته الأولى- كما في قصة (مرض طبيب)- بمدرسة جي دي موبسان بوجه خاص، التي تعتمد على المفارقات اليومية في الحياة[٢٥]. أمّا فيما يخص القصة العالمية التي تضمنت العديد من التيارات الفكرية المتأثرة في وجوهها بفلسفات الغرب، فيشير ناقدنا إلى سلامة موسى في (خيمى(*)) الذي طبّق نظرية التطور على النحو الذي نراه عند (برنادشو)، كما كان توفيق الحكيم متأثراً بأفكار (الدوس هكسلي) عمّا يمكن أن تؤول إليه الإنسانية وفقاً لنظريات العلم[٢٦].

وبعد التأمل في أعمال غالي النقدية نجد فيضاً هائلاً من أسماء الأعلام الغربيين من أدباء ونقاد، ومدارس واتجاهات غربية، بينما نلحظ وبقوة قلة أو انعدام ما يذكّرنا بالتراث النقدي العربي، فهو يقول: ((إنّ اعمالاً عظيمة مثل (دروب الحياة) لسارتر، و (المثقفون) لسيمون دي بوفوار، و(نهر الدون ينساب في هدوء) لشولوخوف، و(الحرب والسلام) لتولستوي، وغيرها، ستظل بمثابة الوثائق غير القابلة للفناء في تسجيل الصراع البطولي للإنسان على ظهر هذا الكوكب)) [٢٧]، وفي حديثه عن الثورية المتأصلة في وجدان الأدباء، يقول: (تتراءى لنا الثورة حلماً أدبياً عميق الجذور في وجدان الادباء على اختلاف جنسياتهم وعصورهم من ديكنز إلى شللي في الأدب الانجليزي ومن هوجو إلى سارتر في الأدب الفرنسي، ومن تولستوي وديستويفسكي إلى تشيكوف وجوركي في الأدب الروسي، ومن بيتشر ستو إلى دوس باسوس وابتون سنكلير وآرثر ميللر في الأدب الامريكي...إلى بقية هذه القائمة التي لاتنتهي مادام هناك إنسان وأدب)) [٢٨].

أمّا في كتابه (برج بابل)، فيقول: ((لم تكن الحداثة العربية قد خرجت من معاطف بيكيت، أو ألبي أو آرابال أو ناتالي ساروت وروبير بانجيه وميشيل بوتور وجينيه وويستر وبنتر، وإنّما خرجت من أحشاء الارض العربية: لغة ونسيجاً وتراكيب وشخصيات ورؤى ودلالات))[٢٩].

إنّ اللبنة الأساسية في التشكيل الفكري والنقدي لغالي شكري، المتأثر بشكل واضح بالثقافات الغربية يرجع إلى ظروف تكوينه الثقافي والعلمي وتحصيله الاكاديمي من الجامعات الاوربية، ففضلاً عن حصوله لدبلوم الصحافة والأدب الانكليزي من الجامعة الامريكية في القاهرة عام ١٩٦٠، فقد نال الناقد عام ١٩٧٨م

شهادة الدكتوراه في سوسيولوجيا الثقافة من جامعة السوربون بباريس، والحال نفسه لكثير من نقّادنا العرب في القرن العشرين، فهم يتخرجون في الجامعات الغربية ويكوّنون ثقافاتهم واتجاهاتهم النقدية في خضم حركة النقد الأدبي الناشط في ساحاتها خاصة، أو في ساحات الأوساط الثقافية الأوروبية والأمريكية عامة، فقد كوّنت الجامعات الفرنسية على سبيل المثال فكر طه حسين، الذي طبّق منهج ديكارت في دراساته على الشعر الجاهلي منذ العام ١٩٢٦م، كما شكلت تلك الجامعات فكر محمد مندور، ومن المعروف أنّ (مندور) قد تأثر بشكل جلي بكتابات الناقدين الفرنسيّين (هيبوليت تين) و(سانت بيف)، وقد كان (مندور) زعيماً لـ(جمعية النقّاد العرب) ودعي بعميد النقّاد، وإذا إنتقلنا إلى أجيال أحدث من نقادنا، وجدنا الثقافة الفرنسية تظهر بجلاء في آثار كل من: أدونيس من سورية، وفيصل دراج من فلسطين، وأحمد درويش من مصر، وعبد السلام المسدي وحمادي صمود من تونس، وعبد الملك مرتاض من الجزائر، وعبد الفتاح كيليطو من المغرب....أمّا الثقافة الانكليزية، فقد كان لجامعاتها ومراكز البحث فيها، تأثير قوي في تكوين نقاد عرب كثيرين، فقد تخرج في تلك الجامعات مثلاً (رشاد رشدي) ومن كتبه (النقد والنقد الأدبي ١٩٧١م)، وكذلك تخرج من جامعة لندن الناقد المصري الكبير (محمد النويهي)، وهو الناقد الذي أسهم بجهوده النقدية في إضاءة أدبنا القديم وأدبنا الحديث إضاءات رائعة، وفي مصر أيضاً تخرج (صبري حافظ) في جامعة لندن حاصلاً على شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي، ومن أمريكا تخرج الناقد (لويس عوض) من جامعة (برنستون)، وكان في نقده متأثراً بالناقد الانكليزي (كريستوفر كودويل)، وتخرج الناقد (عبد العزيز حمودة) من جامعة (كورنيل) في امريكا، صاحب كتاب (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك)، وإذا انتقلنا إلى العراق وجدنا ثلاثة نقّاد يتثاقفون مع النقد الغربي تنظيراً وتطبيقاً، وهم عبد الواحد لؤلؤة، وقد درس في جامعة (ويسترن كليفلند) في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أسهم هذا الناقد في ترجمة سلسلة المصطلح النقدي المكوّنة من (٤٣) جزءاً، أمّا الناقد الثاني فهو (محسن جاسم الموسوي) وقد تخرج في جامعة (دال لهوزي)، وكان قبل هذا وذاك قد تخرج الناقد العراقي (يوسف عز الدين) في جامعة لندن، وألّف كتباً كثيرة منها الشعر العراقي الحديث ١٩٦٠م، وقد أسهمت الثقافة الانكليزية بوضوح في تكوين الناقد السوري كمال أبي ديب، وفي تكوين النقّاد: محي الدين صبحي وخلدون الشمعة، ورياض عصمت من سورية، وحسام الخطيب وجبرا إبراهيم جبرا، ومحمود السمرة من فلسطين، والناقد عبد الله الغذامي من السعودية، والناقدة سلمى الخضراء الجيوسي من الأردن، ووجيه فانوس من لبنان... ولاشك أنّ

ثمة أسماء أخرى من نقادنا قد تأثروا بالتيارات النقدية الغربية، ومناهج درس الأدب في الغرب، دون أن يسافر إلى الجامعات الغربية، وكان سبيلهم إلى ذلك أمرين، أولاً: إطلاعهم المباشر على تلك التيارات والمناهج في مظانها الأصلية، من خلال إتقانهم العميق للغتين الفرنسية والإنجليزية، والثاني: إطلاعهم على المؤلفات النقدية منقولة إلى العربية(٣٠).

يصنّف حسن عليان – الأستاذ بجامعة فيلادلفيا- موقف العقل العربي من المدخولات الحضارية ومن الفكر الغربي في بدايات عصر النهضة إلى ثلاثة مواقف: التيار الأول دعا إلى إحياء التراث العربي والتمسك به دون غيره للنهوض بالأمة من جديد، وذلك في إطار وعيه أنّ الامة لا تنبني إلاّ على الموروث الفكري والحضاري بعيداً عن مستجدات العصر، أمّا التيار الثاني فقد دعا إلى قطيعة كاملة مع التراث، وإلى الأخذ بكل أسباب تقنيات العلم والفكر والتطور، حتى تستطيع الامة اللحاق بركب التحضر والتمدين، ودعا التيار الثالث إلى الوسطية وذلك بالأخذ من التراث بما يفيد في إحياء فكر الامة وفلسفتها، والأخذ كذلك مما وصل إليه الغرب من تقنية علمية وتطور فكري حضاري بعيداً عن مواطن الخلل الاجتماعي التي لاتتماشى وتراثه ومعتقده، وذلك حفاظاً على الهوية القومية الثقافية.(٣١)

ويتعارض موقف غالي شكري مع ما طرحته الشاعرة نازك الملائكة في إطار موقفها من التأثير الغربي ومن النقّاد المتأثرين به، فهي تمثل التيار الأول الداعي إلى إحياء التراث والتمسك به والقطيعة الكاملة مع الفكر الغربي، وتصف وقفة الناقد العربي الحديث وقفة خشوع وتقديس أمام النقد الأدبي ونظرياته الوافدة، وكأنّ ذلك النقد نموذج في الإبداع والعبقرية لا يمكن أن يصله الفكر العربي إلاّ بالتقليد والاقتباس والنقل، وفي غمرة هذه العقيدة الواهمة – على حد تعبير الشاعرة- أغلق الناقد العربي الباب على منابع الفكر والخصوبة والموهبة في ذهنه وراح يغترف من معين النقّاد الاوربيين، دون أن يفطن إلى أن النقد الاوربي يتحدد من تاريخ منعزل انعزالاً تاماً عن تاريخنا، فلآدابنا العربية شخصيتها المستقلة، وأن النقد الذي يصلح لشعرنا يختلف بالضرورة عن النقد الأوربي، ولابد لنا أن نستقرئ نحن القواعد، من شعرنا ومن أدبنا، في هذا الوطن العربي، وباللغة العربية.

وتجد الشاعرة أنّ الناقد العربي لا يرى في عملية النقد إلاّ ترفاً فكرياً ووسيلة يستعين بها على اللعب بنظريات النقد الأوروبي، فليس المهم لديه أن يدرس مشاكل الشعر العربي لكي يضع الأسس الموضوعية لنقد عربي حديث، وإنّما المقصد أنّ

يشغل نفسه بتطبيق النظريات الأجنبية على هذا الشعر بأي ثمن، وتستمر الشاعرة بتحاملها الكبير على النقاد المتأثرين بالفكر الغربي، وتشير إلى أنّ موقف نقّادنا من الفكر الأوروبي يكاد يكون موقف استجداء، فالبعض منهم يعتقد اعتقاداً جازماً أنّنا أقل موهبة من شعراء الغرب، وأنّ علينا أن نغترف نظرياتهم، إذا نحن أردنا انّ ننشئ شعراً عربياً ونقداً، وموقف الشاعرة نابع من إيمانها بأنّ الأمم المبدعة هي دائماً أمم تثق بأنّها موهوبة، وأمّا الامم التي تزدري ذاتها وتقف وقفة الهوان أمام سواها فلن تبدع شيئاً على الإطلاق(٣٢).

لقد كان حكم نازك الملائكة على النقاد المتأثرين بالغرب فيه من القسوة والتعصب مالا يتلائم والوضع العربي الراهن الذي يسوده التخلف والتراجع في ميادين العلوم والحياة كافة، ومن ضمنها النقد الأدبي بشكل خاص، فهذا الطرح المناصر والمتعصب لقضية إحياء الموروث الفكري والحضاري للأمة، لا يتوافق وغياب المقومات الفلسفية والعلمية، التي من الواجب أن تمتلكها الامة.

وقد أثبت هذا التيار فشله في محاولة الناقد التأصيلي (سيد قطب) في كتابه (النقد الأدبي أصوله ومناهجه)، فقد أكد الناقد منذ البدء أنّه لم يرد أن يحمل النقد العربي على مناهج أجنبية عنه، غير أنّ ذلك الطموح ظل طموحاً أكثر منه تحقيقاً فعلياً، ومع أنّ قطب بقي في عرضه مبتعداً عن أسماء النقاد الاجانب وعن الإشارة إلى مناهج النقد الغربي وتياراته، فإنّ أسسه النظرية لم تكن سوى غربية المنشأ، سواء كان واعياً بذلك أم لم يكن(٣٣).

لقد عمل الغرب على غزو الوطن العربي ثقافياً، دون أن يبدي المثقفون العرب وفلاسفتهم حراكاً، وذلك لقلة أسلحة المقاومة الثقافية والفكرية، وعجزها عن مواجهة المدّ الحضاري الغربي بصورة لم يقو الفكر العربي على مواجهتها، فأنجرف في تيارها على مختلف الصعد النقدية والأدبية والفلسفية والاجتماعية والثقافية، برغبة أو بدون رغبة، لأنّه لايمتلك مقومات إثبات الذات فكراً وحضارة، ولأنّه لم تتوفر له إمكانات الرؤية منهجاً وتطبيقاً، وذلك لتسارع إيقاع العصر، فبدأ العقل العربي مقلداً لامنتجاً، لذا لم يخرج من عباءة الغرب، وأسهم مثقفو الوطن العربي، في هذه التعبية الثقافية والفكرية في مجال الأدب والنقد، وانفتاح الوطن العربي على الثقافة الغربية أدّى إلى تراكم إنتاج قرون في الساحة الأدبية والنقدية والفكرية والفلسفية العربية، ممّا أدّى إلى خلخلة بنية الفكر العربي وإصابته بالإرباك، فالمدارس الأدبية والنقدية

والفلسفية الغربية وضعت على مائدة الفكر العربي مثل الكلاسيكية الجديدة والطبيعية والرومانسية والواقعية....[٣٤].

ولاشك أنّ الناقد معذور، لأنّ أدبنا قد احتاج إلى أمد طويل، ومازال يحتاج إلى الآن إلى أن يتعلم الكثير في أصول الصنعة الفنية في الغرب... فقد لاحظ النقد عن حق أنّ معالم بعض المذاهب الجمالية الاوروبية تلفت النظر فيما بين يديه من إنتاج محلي، فهذا هو محمد حسين هيكل، وهذا هو توفيق الحكيم يتلقيان دروسهما الفنية الأولى في باريس مباشرة، بل هما يحاولان تجربتهما الفنية الأولى في اللغة الفرنسية نفسها، وكانت الرومانسية- من هنا- أولى البصمات الاوربية على إنتاج الرواد[٣٥].

ويؤكد غالي أنّ التأثر والتفاعل مع النقد الغربي من المطالب الضرورية لتحقيق رؤية عربية نقدية، تتمكن من التواصل مع التقدم الحضاري والثقافي السائد في البلدان الغربية، فيقول: ((إنّ تأثرنا المؤكد بمناهج النقد الغربي كان جائزاً ومطلوباً ومبرراً في فترات سابقة، ومازال التفاعل مع هذه النماذج مطلوباً، ولكن برؤية نقدية، أي برؤية تحلل وتقارن وتضع كل شيء في السياق الاجتماعي، وبالتالي استنباط القانون العام أو الخبرة التي يمكن تعميمها، والحذر من أي خلط بينه وبين خصوصيات الآداب الاخرى، هذه العملية هي ذاتها الإبداع النقدي، أمّا النقل الحرفي والاقتباس المشوه والتطبيق المغلوط لكل كلمة (حديثة) يخطها الغرب، فهو التغريب، بينما المطلوب هو التأصيل)) [٣٦].

ويرى غالي أنّ بإمكانية النقد العربي أن يصبح مؤهلاً لاقتحام الرؤى النظرية للأدب والنقد على السواء، بحيث يصبح بإمكاننا المساهمة في نظرية الأدب ونظرية النقد، عندما يكون النقد العربي قادراً على اكتشاف القوانين الخاصة لمسارنا الأدبي، وتحديد القيمة الداخلية المطلقة لأعمالنا الأدبية، وكذلك اكتشاف التأثيرات الوافدة بتحديد القيمة الخارجية النسبية لهذه الأعمال، غير أنّ قناعة غالي النقدية توجب حتمية أن يكون النقد العربي تابعاً للاتجاهات الغربية، وتعتقد بصعوبة تحقيق تأصيل المصطلح العربي واكتشاف التأثيرات الغربية، فلا ريب في أن هذا الميدان من ميادين النقد العربي الذي لازال بكراً بتعبير غالي، يحتاج إلى جهود أجيال كاملة، ولذلك فإنّ التأثر بالتراث الغربي أو استلهامه في كثير من فنوننا الأدبية الحديثة لا يعده غالي عيباً لأسباب حضارية خارجة عن إرادتنا، ولكن العيب عنده، هو إنكار هذه الحقيقة، بأنّ نتجاهل رصد المؤثرات الخارجية في أدبنا الحديث ليتسنى لنا التعرف على أدبنا بشكل أكثر عمقاً[٣٧].

يقول غالي: ((إنّ الحضارة الغربية تستطيع أن تمدنا بعناصر الرؤية الحديثة، بشرط أن نقف على أرضنا نتزود بأعمق مافي هذه الارض من شرايين الحضارة الغائرة في وجداننا الروحي))[٣٨].

إنّنا نرى أنّ التيار الأقرب لغالي من التيارات الثلاثة التي صنّفها (د.حسن عليان)، هو تيار الوسطية الذي يحاول أن يجمع فيه مابين الأصالة والمعاصرة، مع ملاحظة أنّ الأصالة التي يقصدها غالي هي ليست معناها الحماس للقديم، وإنّما الذي أراد أن يقصده بالأصالة هي ثقافتنا ومعتقداتنا وهويتنا الخاصة بنا، التي يجب تطويع المناهج الغربية على أساسها أو أخذها بالحسبان ومراعاتها عند استلهامنا للرؤى الغربية، فهو يقول: إنّنا لو أقدمنا على مزج النظرية بالتطبيق من خلال الاعمال الأدبية المطروحة بالفعل، حينذاك سنغتني بثقافة الحضارة المتقدمة، كما نغتني بالتراث، بلا عقد أو مركبات نقص، ثم كنّا سنبلور تجربتنا الخاصة في نظرية الأدب، ونظرية النقد جميعاً[٣٩].

إنّ آراء بسام قطّوس حول النظرية النقدية تكاد تكون مطابقة لما ذهب إليه الناقد غالي شكري من هذه القضية، إذ يقول قطّوس: ((إنّ الأصل في النظرية النقدية إنّها عالمية لاتنتمي إلى وطن دون آخر أو إلى أمة دون اخرى، ولكن خصوصية كل أمة تكمن في ثقافتها التي تجسدها لغتها وحضارتها وتعطيها من ثم هويتها.... أي إنّها عالمية لاتنتمي إلى وطن بعينه، بل هي تنتمي إلى الحضارة الكونية، بينما نقد كل أمة أو بلد ناطق بلغة ما ينتمي إلى ثقافته، ومن هنا فإن ثمة هناك نقد عربي حديث يتمثل فيما كتبه نقّادنا المحدثون من دراسات تنظيرية، منفتحين على الآخر، ودراسات تطبيقية درسوا فيها أدبنا العربي حديثه وقديمه، مجسدين بذلك خصوصية لغتنا العربية وحضارتنا وإبداع أبنائها من الشعراء والروائيين والمسرحيين، ومبرزين هويتنا وخصوصيتنا القومية والحضارية، ومجسدين في نقودهم المكتوبة باللغة العربية وتطبيقهم على النصوص العربية، هذه الخصوصية القومية والحضارية التي تجسد هويتنا))[٤٠].

إنّنا نعتقد أنّ غالي شكري كان موفقاً في عرضه لقضية- تأثر النقد العربي بالنقد الغربي-، إذ كانت آراؤه تنم عن عقلية نقدية متجددة، تصطبغ بالصبغة العربية، وتساير التقدم العلمي والثقافي الذي تشهده أوروبا في وقت واحد، فهو يرفض التعصب أو التحجر الفكري، والانكفاء أو الاكتفاء وراء ماحققه نقّادنا العرب القدامى من

نظريات نقدية آنذاك، كما يرفض رؤى البعض في عدم قبول الآخر أو الإفادة منه بحجة الاعتزاز بقوميتنا وثقافتنا وعدم التفريط بعروبتنا.

المصادر

١- الكتب:

١) أدب المقاومة، د. غالي شكري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ١٩٧٩م.

٢) برج بابل: النقد والحداثة الشريدة، د. غالي شكري، ط١، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٣) ثورة المعتزل: دراسة في أدب توفيق الحكيم، د. غالي شكري، ط٢، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٧٣.

٤) دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً،

د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٢م.

٥) دليل النظرية النقدية المعاصرة، د. بسام قطوس، ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٤م.

٦) الرواية العربية في رحلة العذاب، د. غالي شكري، د.ط، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٩٧١م.

٧) سوسيولوجيا النقد العربي الحديث، د. غالي شكري، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

٨) شعرنا الحديث... إلى أين؟، د. غالي شكري، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان، ١٩٧٨م.

٩) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط٣، مكتبة النهضة، ١٩٦٧م.

١٠) مدارس النقد الأدبي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة- مصر، ١٩٩٥م.

١١) المنتمى: دراسة في أدب نجيب محفوظ، د. غالي شكري، د.ط، مكتبة الزناري، القاهرة مصر، د.ت.

٢- الدوريات:

١) آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، معجب بن سعيد الزهراني، مجلة جامعة الملك سعود، م ٩، الآداب (١)، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.
٢) تجليات النقد الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج٤١، م١١، النادي الأدبي، جدة- المملكة العربية السعودية، سبتمبر ٢٠٠١م.
٣) النقد الأدبي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية: دراسة وتحليل، حسن مجيدي، سيد محمد أحمد نيا، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ع ٨، كانون الأول ٢٠١٢م.
٤) النقد العربي الحديث، محمد الناصر العجيمي، مجلة علامات، ج٥٦، م١٤، النادي الأدبي، جدة- المملكة العربية السعودية، يونيو٢٠٠٥م.
٥) مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، بشير إبرير، مجلة علامات، ج٤٩، م١٣، النادي الأدبي، جدة- المملكة العربية السعودية، سبتمبر ٢٠٠٣م.

١. الإنترنت:

١) أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث، د.غسان السيد،
http://www.startimes.com/?t=20947464

٢) تطور النقد الأدبي العربي بين النظرية والتطبيق، د. الهادي أمحمد محمد السلوقي
www.alarabiah.org

٣) النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د.حسن عليان
http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/no5/16.pd.

الهوامش:

١- ينظر: النقد العربي الحديث، محمد الناصر العجيمي، مجلة علامات، ج٥٦، م١٤، يونيو ٢٠٠٥، ١٥٢.
٢- ينظر: تجليات النقد الادبي الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج٤١، م١١، سبتمبر٢٠٠١، ٣١٨.
٣- ينظر: النقد الادبي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية، حسن مجيدي وسيد محمد احمد نيا، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ع٨، كانون الاول٢٠١٢، ١٠٢.
٤- ينظر: أثر النقد الغربي في النقد العربي الحديث، د.غسان السيد http://www.startimes.com/?t=20947464.
٥- ينظر: تطور النقد الادبي العربي بين النظرية والتطبيق، د. الهادي أمحمد محمد السلوقي،١٣ www.alarabiah.org.
٦- ينظر: آثار نظرية الرواية الغربية في النقد الروائي العربي، معجب بن سعيد الزهراني، مجلة جامعة الملك سعود، م٩،الاداب (١)،١٩٩٧، ٦٧-٦٨.
(*) سميت هذه المدرسة باللانسونية نسبة إلى الناقد (غوستاف لانسون) الذي حدد المنهج التاريخي في دراسة الأدب منهجاً له.
٧- ينظر: دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ٣٥٧.
٨- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د.حسن عليان http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/no5/16.pdf.
٩- الرواية العربية في رحلة العذاب، د. غالي شكري، ١٥٧.
١٠- تجليات النقد الادبي الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج٤١،م٥١١ سبتمبر٢٠٠١، ٣١٩.

١١- ثورة المعتزل، د. غالي شكري، ٨٠.
١٢- دليل الناقد الادبي، ٣٥٥.
١٣- مدارس النقد الادبي الحديث، د.محمد عبد المنعم خفاجي،١٠٧.
١٤- م.ن،١٢٩.
١٥-ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب،١٦-١٧.
١٦- المنتمى: دراسة في أدب نجيب محفوظ، د.غالي شكري،٨٥.
١٧- م. ن ، ٨٨.
١٨- الرواية العربية في رحلة العذاب،١٥٠.
١٩- ينظر: دليل النقاد الأدبي،٣٦٩.
٢٠- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب،١٥٧.
٢١- ينظر: مدارس النقد الأدبي الحديث،١٢٠-١٢١.
٢٢- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د.حسن عليان http://www.philadelphia.edu.jo/philadreviw/i.ssue5/no5/16.pdf.
٢٣- مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، بشير إبرير، مجلة علامات،ج٤٩،م١٣، سبتمبر٢٠٠٣، ٦١٧.
٢٤- الرواية العربية في رحلة العذاب،١٥٧.
٢٥- ينظر: المنتمى،٢٩٢.
(*) (خيمى): اسم مدينة متخيلة يوتوبية، ذكرها سلامة موسى في احدى قصصه في كتابه (احلام الفلاسفة).
٢٦- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب،١٥٠.
٢٧- أدب المقاومة، د. غالي شكري، ١٦.
٢٨-الرواية العربية في رحلة العذاب،١٥-١٦.
٢٩- برج بابل، د. غالي شكري، ١١١.
٣٠- ينظر: تجليات النقد الادبي الغربي في نقدنا المعاصر، عادل الفريجات، مجلة علامات، ج٤١، م١١، سبتمبر٢٠١١، ٣١٩-٣٢٥.
٣١- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د. حسن عليان http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/nos/16.pdf.
٣٢- ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ٢٩٧-٣٠٠.
٣٣- ينظر: دليل الناقد الأدبي،٣٦٣.
٣٤- ينظر: النقد العربي بين التأصيل والتبعية، د.حسن عليان http://www.philadelphia.edu.jo/philadreview/i.ssue5/nos/16.pdf.
٣٥- ينظر: الرواية العربية في رحلة العذاب،٢٠٨.
٣٦- برج بابل، ١٩-٢٠.
٣٧- ينظر: سوسيولوجيا النقد العربي الحديث، د. غالي شكري، ١٥.
٣٨- شعرنا الحديث... إلى أين؟ ، د.غالي شكري، ٣٣-٣٤.
٣٩- ينظر: ثورة المعتزل،٥٠.
٤٠- دليل النظرية النقدية المعاصرة، د. بسام قطوس، ١٦-١٧.